تربويون يحذرون من تسييس التعليم

كيف نحمي أبناءنا من التعصب الحزبي؟

،، ما تشهده البلد من احتقان سياسي ألقى بظلاله السلبي على مظاهر الحياة اليومية في الساحة «اليمنية» يدعونا إلى الالتفاف بواقعية ومسؤولية نحو أبنائنا في المدارس حتى لا تختل العملية التربوية، وتسري عدوى السياسة إلى العقول التي لا زالت في طور البناء والتكوين، خصوصاً وأن ما يجري يتسم بحمى الجدل السياسي الحاد الكفيل بإحداث أثر سلبي كبير على سير العملية التعليمية، فماذا عن واقع العملية التعليمية في البلد في ظل هذه الاحتقانات التي عززتها عوامل شتى محلية وإقليمية..؟ وكيف يسير جدول اليوم الدراسي؟ وكيف تتعامل مكاتب التربية مع من يخالف قواعد العمل التربوي والإداري في مختلف مؤسسات التربية والتعليم؟ وما دور مجالس الآباء في الحرص على عدم الزج بطلاب المدارس في معترك التناقضات السياسية؟ وأسئلة أخرى تدور حول أهمية فصل التعليم عن السياسة وتحصين العقول البيضاء من خلل التكوين التربوي والثقافي وغيرها سنبحث عن إجاباتها في سطور هذا التحقيق:

تحقيق/ محمد محمد إبراهيم

- جوهرة هواش: عملنا مع مجالس الآباء على توعية أولياء الأمور بأهمية متابعة أبنائهم في المدرسة وإبعادهم عن الأحزاب

- عبدالرقيب محسن: منعنا خروج الطلاب والمعلمين خلال الدوام المدرسي

- الهجري: التعصب الحزبي في بعض الأرياف يحول دون تطوير العملية التربوية

- الجرادي: ينبغي أن نضع مصلحة الطلاب في المقدمة لأنهم أبناؤنا جميعاً وأمل مستقبلنا

■ من المؤلم جداً أن تسمع في الشارع طالباً في المرحلة (الأساسية أو الابتدائية أو الثانوية)، يخوض في موجة الجدل السياسي وبحدة تثبت وجود صوته في أصوات الكبار إما مؤيد أو معارض.

الأكثر ألماً هو أن تدرك أن هذا الطالب هو من الطلبة المميزين والحاضرين في صدارة الأذكياء وغادر هذه الصدارة، بل غادر المدرسة جريا وراء طموح إثبات ذاته في المجتمع الذي أثقلته السياسة، وأعمت صوابه الرؤى الاستباقية نحو نتائج ما يجري وما سيجري على الساحة اليمنية في هذه الفترات العصيبة.

هذه الملاحظات كثيراً ما تتكرر في الشارع في المقهى وحتى في القرى، تسمعها وأنت في المجلس القروي أو على ظهر سيارة شاص حملت فوق طاقتها وشقت بحمولتها تعاريج الجبال صعوداً نحو القمم ولا تجد حواسك أمام برهة تأمل ونظر إلى وجه الطبيعة من جراء الأصوات المحتدمة التي يشكل معظمها الصغار من طلاب المدارس خصوصاً مع الإجازات.

كما إن هذه الملاحظات كثيراً ما تكررت أمام أعيننا مع كل فترة انتخابات شهدتها سنوات النهج الديمقراطي الذي فتح الحبل على الغارب، أمام مجتمع لم ينضج بعد أمام هذا التيار الحياتي الراقي، فوجدنا مدارسنا تضج بتناقضات الرؤى، ابتداءً من «سأرشح – وما هو حزبي – وأيها الأفضل، ومن سيبني أكثر و.. و.. و.. إلخ» وانتهاءً بعراك الأيدي بين طالبين لم يبلغا السن القانوني من أجل ترشيح مرشح والدهما أو أخيهما، أو خالهما أو حتى مدرسهما الذي ارتكب خطأ تربوياً بليغاً وتحدث عن حزب من الأحزاب أياً كان أمام أذهان طلاب صغار لا زالت صافية تنتظر من يخط فيها علماً يرقى به للوصول إلى مرتبة يكون فيها خادماً وبناءً لمسارات الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية ولما يسهم في مصلحة الأمة عموماً.

أما في هذه الفترة المشحونة باحتقان سياسي كبير فإن الخوف صار أكبر مما نتوقعه فكثير من أولياء الأمور لم يعوا أهمية الحرص والمتابعة لأبنائهم في المدارس في الإجازات فحصلت الكثير من الأخطاء كأن تجد طلاباً صغاراً في الاعتصامات والمظاهرات المؤيدة أو المعارضة.. وحدث أن تعطلت بعض المدارس القريبة من مساحات الاعتصامات وأغلقت بعضها كما حصل في تعز وعدن وأبين حيث تزايدت المشاكل التي اقلقت بعض أولياء الأمور وأعضاء هيئة التدريس.

هذا الأمر حدا بالجهات المعنية سواءً في وزارة التربية والتعليم أو مجالس الآباء وإدارات المدارس باتخاذ العديد من الإجراءات والاحترازات لما يسهم في منع الزج بطلاب المدارس إلى ساحات المظاهرات أو الاعتصامات وإبعادهم عن تيار السياسة.

هذا ما أوضحته الأستاذة جوهرة هواش مديرة إدارة المشاركة المجتمعية بأمانة العاصمة، حيث أشارت إلى أن الإدارة عمدت إلى دعوة مدراء المدارس في الأمانة وكذا رؤساء مجالس الآباء في المدارس إلى اجتماع موسع أي مع البدايات الأولى لهذه المظاهرات وتم الاجتماع بحضور أمين العاصمة – وزير الدولة الأستاذ عبدالرحمن الأكوع – ومدير عام مكتب التربية بالأمانة وبعض مدراء المدارس ورؤساء مجالس الآباء والاخصائيين الاجتماعيين والتربويين وتم النقاش حول مجمل القضايا المتعلقة بصون طلاب المدارس وتجنيبهم الخوض في غمار السياسة والمهاترات والانتماءات الحزبية، وضرورة أن يلعب أولياء الأمور ورؤساء مجالس الآباء دورهم في متابعة أبنائهم ومتابعة المدارس لمعرفة مدى الالتزام بالضوابط السياسات والتربوية.

داعية مدراء المدارس إلى اتخاذ الإجراءات الصارمة تجاه المدرسين الذين يتغيبون أو يتضح أنهم يعملون على تحريض الطلاب أو تعبئتهم من أجل الخروج في المظاهرات أو الاعتصامات من خلال إعطاء الإنذارات ثم الجزاءاتالعقابية لكل ما من شأنه إيقاف كل من يحاول الزج بالطلاب في المسيرات والمهاترات السياسية.

سلوكيات غير مسؤولة

■ منذ بداية الاعتصامات والمظاهرات اتجه البعض ممن تجرهم التعصبات والانتماءات الحزبية الضيقة إلى محاولة استغلال الطلاب والدفع بهم إلى مجاميع المظاهرات والاعتصامات، سواء من أولياء الأمور أو من بعض المدرسين المنضويين تحت ما يسمى بنقابة المعلمين التي أسسها تربويو حزب التجمع اليمني للإصلاح هروباً من العمل التربوي المشترك مع زملائهم في نقابة المهن التعليمية التي تمثل كل التربويين اليمنيين بمختلف أصنافهم.

الأهم من هذا الخلل بين أبناء المهنة الواحدة والأكثر أهمية على صعيد بناء الأجيال هي التصرفات غير المسؤولة من قبل بعض أعضاء هيئة التدريس، أو أولياء الأمور، وهذا ما لمسناه بغصة كبيرة أثناء زيارتنا لمدرسة الزبيري في مديرية الوحدة بأمانة العاصمة، وهي من أكبر المدارس الثانوية والأساسية في الأمانة والتي تعرض مديرها الأستاذ عبدالرقيب محمد محسن لاعتداء غاشم بالضرب المبرح والمدمي، حدث له على إثر ذلك تمزقات في الأمعاء والكبد، حسب وصفه.. كانت هذه الحادثة نتيجة محاولة المدير منع الطلاب من ترديد شعارات حزبية أو التغيب أو الخروج في المظاهرات، الأمر الذي أدى إلى حدوث إشكال مع أحد الطلاب فإذا بولي أمره – حسب تأكيد مدير المدرسة – جاء للمدرسة واقتحم مكتب الإدارة هو وشخصان واعتدوا على المدير ضرباً وطعناً حتى سالت الدماء.

وحسب المدير الأستاذ عبدالرقيب، لا يزال الجناة بيد الأمن ورهن الاحتجاز، فيما لا يزال يتلقى العلاج، حيث من المقرر أن تجرى له عملية جراحية باطنية.

الأستاذ عبدالرقيب محسن، مدير المدرسة، يداوم رغم ما به من ألم وفي زيارتنا له في إدارة المدرسة أكد أن سير العمل يمضي على أكمل وجه في المدرسة، حيث يوجد فيها «١٨٠٠» طالب، وأكثر من «٣٦» فصلاً، ويعمل فيها «٧٨» مدرساً، منهم «٥٣» مدرسة، مضيفاً : اتخذنا إجراءات صارمة تقضي بعدم خروج الطلاب أو المدرسين من المدرسة إلا نهاية الدوام، وبهذا استطعنا إبعاد الطلاب عن ترك الدراسة أو التغيب تحت أي مبرر إلا ما هو عذر مقبول وواضح.

قلق مستمر

الأستاذة نجلاء يحيى المهدي، أخصائية اجتماعية في مدرسة الزبيري، تؤكد أن الظروف الحالية والعصيبة جعلت الأسر وأولياء الأمور يعيشون حالة قلق مستمر على أبنائهم في المدارس، في الشارع، في الطريق، ولهذا يلجأون إلى حجزهم في البيت، سواءً في المدينة أو القرية، خوفاً من الزج بهم في الاعتصامات وتعرضهم للخطر.

وأضافت : ومنذ البداية وما إن نشعر بغياب طالب من الدراسة نقوم بالتواصل مع أسرته ولي أمره ونطمئنهم أنه لا يوجد ما يقلق، والمدرسة لا تسمح للطلاب بالخروج ولا تسمح باستغلالهم أو الزج بهم في المظاهرات، ناهيك عما تلعبه إدارة المدرسة من استضافة موجهي إرشاد لإلقاء محاضرات أو كلمات مختصرة في طابور الصباح من شأنها توعية الطلاب بعدم الدخول في أي نوع من المظاهرات أو المهاترات الحزبية، وأن يتفرغوا للتعليم فقط.

المدارس في الريف

منذ خمسة عشر عاماً والشاب المميز والتربوي القدير صالح محمد زيد يقطع كل صباح مسافة أربعة كيلو مترات حتى يصل إلى مدرسة ابن زيدون، عزلة بني الجرادي، السلفية، ريمة، وفي غدوه يتحمل قارس البرد في الشتاء، أما في رواحه فيتحمل حرارة الشمس صعوداً وتسلقاً ليعود – غرباً – إلى قريته «السُّورة» في خطى يملأها الوقار والاحترام لواجبه التربوي تجاه أبنائه وإخوانه أبناء القرى المجاورة : «بني قريع – الشرق – الصيحي – المحل» وغيرها، التي يكنّ أهلها لهذا التربوي الناجح جل اهتمامهم وتقديرهم، ويرجون أن يحظى باهتمام وتكريم تربوي يرقى بجهوده وشعوره بالمسؤولية تجاه عمله ورسالته المهنية السامية.

قليلون ونادرون هم من يحظون بهذا الاهتمام والمسؤولية في ظل هذه الظروف الوطنية الحرجة، وهذا ما لفت ونوه به عضو مجلس الآباء الأخ سعد سعد أحمد حسن، مشيراً إلى أن مدرسة ابن زيدون لم تشهد أي إشكال يتخلل اليوم الدراسي أو غياب بفضل وعي أولياء الأمور والتزام المدرسين بالدوام، خصوصاً من قبل الأستاذ صالح محمد زيد وزملائه الآخرين.

توعية الطلاب والمدرسين

الأستاذ عبدالله سعد الجرادي، مدير مدرسة السلام بالخنمة، مديرية السلفية، هو الآخر يبذل جهوداً مضنية ومميزة في سبيل عملية تعليمية تربوية مجردة ومحصنة من الانعكاسات السلبية للاحتقان السياسي القائم في البلد، والذي تأثرت به الكثير من المدارس.

يؤكد الأستاذ عبدالله سعد الجرادي أن العملية التربوية يجب أن تكون بمعزل عمّا يجري من أحداث سياسية وحزبية واحتدام لا يفضي إلا إلى فراغ تربوي وتعليمي لدى النشء والشباب الطلاب.

وقال : لقد حرصنا كثيراً وعملنا جاهدين على توعية الزملاء والطلاب بعدم الانجرار وراء موجة المظاهرات والاعتصامات التي تشهدها المحافظات بين مناصر ومعارض، وأكدنا على ضرورة إبعاد أبنائنا الطلاب من هذا التيار، فنحن نجتمع تحت سقف واحد، لا هدف له سوى تربية وتعليم الطلاب وتكوين مداركهم المعرفية بعيداً عن التعصبات والمهاترات الحزبية، كما أننا عمدنا إلى التعامل الإداري الحازم مع الطلاب، وعمدنا إلى توعيتهم بأنهم في صرح علمي لإعداد أنفسهم لما ينتظرهم في المستقبل من مهام وطنية ومجتمعية أكبر مما تتمر به البلد الآن.

وأضاف الجرادي : منذ «١٩» عاماً وأنا أعمل في هذه المدرسة ولم يحصل بتاتاً أن سمحت لنفسي أو لطلابي بممارسة التحزب داخل المدرسة، ولم نجرهم إلى مناصرة أي حزب «حاكم أو معارض».

وأوضح أن ما حصل من تغيب هو من قبل بعض الزملاء الذين ينضوون تحت إطار نقابي يتبع التجمع اليمني للإصلاح ويتمثل في نقابة المعلمين، حيث بدأوا الإضراب تحت مبرر طلب صرف الزيادة، وبدأوا يوجهون الطلاب لترديد بعض الشعارات، لكننا حاولنا معالجة الإشكال بحضور وتعاون مدير المركز التعليمي بالمديرية، والآن تمضي الأمور بشكل جيد، خصوصا بعد وعود وزارة التربية والتعليم بصرف الفوارق.

ودعا مدير مدرسة السلام بالخنمة، الزملاء من أعضاء هيئة التدريس وكذا أولياء الأمور إلى الحفاظ على علاقة أبنائهم بالتعليم، وأن لا يسمحوا للتعصب الحزبي والجدل السياسي بأن يتسرب إلى عقول الصغار النظيفة، لتظل صافية تصوغ في صفحتها نور العلم ورسائل القيم النبيلة وتعاليم ديننا الحنيف القائم على الوسطية والاعتدال وحب السلم والتسامح ولغة الحوار وثقافته، لا روح الجدل والفرقة.

قلق المواطنين

يؤكد الكثير من أولياء الأمور في القرى والأرياف أن الوضع الراهن أثار قلقاً كبيراً لدى المواطنين على ما يجري في المدارس من ضياع الحصص الدراسية، وأحياناً ضياع اليوم الدراسي بكامله، وصولاً إلى تعطيل المدارس، الأمر الذي أدى إلى مشاكل بين المواطنين والمدرسين الذين يعمدون إلى الإضراب أو تضييع ساعات الحصص، كما أن وصول الحزبية والتعصبات إلى مدارس الأرياف إشكالية تحول دون تطوير العملية التعليمية وتشكل خطراً على أجيالنا.

وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبدالملك الهجري، مدير المركز التعليمي بمديرية السلفية، محافظة ريمة، حيث أكد أن بعض المدارس شهدت إشكالات ومشادات كلامية تطورت في بعض الحالات إلى العراك بين المواطنين وأعضاء هيئات التدريس بسبب عودة أبنائهم دون تعليم، ومنها مدرسة الوحدة الوطنية في مضبعة ومدرسة النجاح بني نضيع، ومدارس أخرى، موضحاً أن مكتب التربية بالمديرية قام بدوره في حل الكثير من الإشكالات بالتنسيق مع مجالس الآباء من خلال إقناع أعضاء هيئة التدريس الذين كانوا قد بدأوا إضرابهم بناءً على تعميم «نقابة المعلمين»، التي ينضوي في إطارها مَنْ ينتمون إلى اللقاء المشترك، والذي أضربوا – وهم قليلون – وذلك تحت مبررات صرف الفوارق، لكن البعض منهم رجع للتدريس والانضباط بعد صدور تعميم وبيان من وزارة التربية والتعليم بأن صرف الفوارق سيكون في نهاية مارس الجاري.

وأكد الهجري أن مدرستين فقط هما اللتان تعطلتا وأغلقتا، رغم محاولاتنا في المكتب التربوي بإقناع أعضاء هيئة التدريس بالعودة إلى المدارس بعد سفرهم – لأنهم ليسوا من أبناء المديرية – تحت ضغط الانتماءات الحزبية والخوف على أسرهم – حسب تعبيرهم – مما كان يسمى بجمعة الزحف، كما أن هناك قلة من أعضاء هيئة التدريس الذين يتأثرون بالتشدد الحزبي وواصلوا إضرابهم، ونحاول الآن مع مجالس الآباء أن نقنعهم بالعودة، باعتبار أن المتضرر الوحيد هم أبناؤنا وأبناؤهم وإخواننا وإخوانهم، وهذا ما جعل الجميع يقتنعون وسيعودون إن شاء الله تعالى.

أما ما يتعلق بالإجراءات الإدارية، فأكد مدير مكتب التربية بمديرية السلفية ريمة، أن المكتب وبناءً على توجيهات وزارة التربية والتعليم، يقوم بالنزول الميداني اليومي والتواصل المستمر مع مدراء المدارس، واتخاذ اللازم تجاه كل مَنْ يخالف تعليمات وزارة التربية والتعليم، ولما يخدم أبناءنا ويبعدهم عن معترك السياسة ودوامة الجدل الراهن، لافتاً إلى أنه ومن هذا الشهر سيتم ربط الراتب بمكتب بريد المديرية فقط، ولا يستلمه المدرس الغائب إلا بموجب عودته إلى المدرسة، وبموجب إفادة باستمراريته في التدريس بالمدرسة من قبل إدارتها.